غي تيليم، مواليد ١٩٦٢
سلسلة: أفينيو باتريس لومومبا

لمياء جريج (مواليد ١٩٧٢) فنانة تعيش وتعمل في بيروت، لبنان. تخرجت من كلية رود آيلاند للتصميم، بروفيدانس، الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٩٥) مع درجة البكالوريوس في الفنون الجميلة في السينما والرسم. وقد أدرج عملها في معارض مثل نفاد بيروت في متحف الفن الحديث أكسفورد ٢٠٠٦، بينالي البندقية ٢٠٠٧ والأحكام في بينالي الشارقة ٢٠٠٩. وهي أيضا الشريكة المؤسسة والمديرة المشاركة لمركز بيروت للفن، صالة عرض غير هادفة للربح ومكرسة للفن المعاصر في لبنان.
تدرج في مجموعة تيت أربعة من أعمالها من سلسلة " كائنات حرب" ١٩٩٩-٢٠٠٦.
(Tate T13247–T13250)

هنا تتحدث جريج عن سلسلة صور " أفينيو باتريس لومومبا " للفنان الجنوب افريقي غي تيليم.
(Tate P79826–P79831, P79836–P79838)

رأيت لأول مرة صور غي تيليم عن طريق الصدفة اثناء قضاء وقتا قصيرا في برلين. وهو عنصر الصدفة الذي يسمح لي الآن أن أشرح تأثيرها علي. لم أكن أعرف أي شيء عن الفنان ولا عمله ، والقليل جدا عن السياق الذي أتخذت فيها هذه الصور. دخلت المعرض دون توقعات أنما لمجرد أن دعا لي شيئا من داخل صالة العرض. كانت سلسلة صور فوتوغرافية " أفينيو باتريس لومومبا " على الجدران. حتى لو لم يكشف الصورة كاملة، قدم العنوان السياق الفوري: التاريخ المعاصر لجمهورية الكونغو الديمقراطية تحديدا، والقارة الأفريقية بصفة عامة. على الرغم من ذلك، شعرت وكأنها اتخذت الصور خارج الوقت مع عدم وجود روابط إلى أي عصر معين.

أراها مجددا اليوم في إطار مختلف في المجموعة الدائمة لمتحف " تيت مودرن " وأتذكرها فورا. لا تزال تدعو لي الصور ولكن بطريقة مختلفة. فأحاول أن أفهم سبب ذلك. لا يمكن تفسير بعض الأمور، وربما لا ينبغي تفسيرها، لكن مثير التفكير فيها في أية حال.

يبحث ويلتقط غي تيليم صور جميع الأماكن العامة التي تحمل اسم " لومومبا " في جميع أنحاء الكونغو وموزامبيق وأنغولا ومدغشقر. المشروع مخطط وليس يأتي في الصدفة. حتى وان لم يكن سياسي بشكل مباشر، يشير مشروعه الفني إلى باتريس لومومبا (١٩٢٥-١٩٦١)، الشخصية السياسية التي أصبحت شخصية أسطورية. هذه الصور لا تصور الشخص ولكن تستحضر رمزه، رمز فكرة الكونغو والكفاح من أجل الاستقلال ضد الاستعمار، رمز افريقيا حرة.

يعرض تيليم أطلال الهندسة المعمارية للاستعمار الكولونيالي، بنايات مهجورة، آثار فندق فخم، مباني سكنية ومكاتب إدارية. هذه الأماكن، المرتبطة من قبل رمز لومومبا، تبدو أنها تتقاسم تاريخا مشتركا ولكن، كل مكان يبدو أنه يضمن عالم فريد حيث وجود بشري مخلخل يزيد طيفيته.

تحتفظ الصور بشيء من الماضي من خلال مهمل هذه الأماكن والمباني، لكن لا أتحدث هنا عن حنينا، حتى لو التفكير بذلك ممكنا، بل أتحدث عن شعرية، شعرية الخلود وإيقاف الزمن، شعرية صور مجمدة تستحضر تاريخ أماكن معينة دون سرد ودون حكمية. هنا يلتقي سبيل التاريخ مع إدراك تيليم الدقيق.

في لفتة واحدة، خلال نظرته، يفك ويخلط الفنان معا علاقة بالماضي والحاضر الذي يعبر عنه.

أجد أخوية فنية ما بين هذه السلسلة الفوتوغرافية والفيلم الوثائقي المؤثر " لومومبا، وفاة نبي " (١٩٩١) للمخرج الهايتي راوول بيك (مواليد ١٩٥٣). قد وصل بيك في الكونغو وهو طفل ونشأ هناك. بواسطة مزج صور وأفلام أرشيفية بأشرطة وقطات صورها حين عودته إلى الكونغو بعد غيبة سنوات عديدة، يستحضر بيك، مع كمية من الحنين إلى الماضي، تلك اللحظة في التاريخ حيث كان الأمل بتحول سياسي نحو الديموقراطية في الكونغو يستطيع أن يصبح واقعا. وكان هذا الأمل حيا في باتريس لومومبا، وتم تدمير هذا الأمل عندما اغتيل لومومبا عاجلا بعد أن أصبح رئيس وزراء: عملية اغتيال نفذت على ما يبدو بمساعدة بلجيكا ووكالة المخابرات الأمريكية. كانت هذه الحادثة كارثة لمشروع تطوير وتغيير الكونغو، وأيضا، بطريقة ما، كارثة لكافة افريقيا الذي كان الكونغو مثالا ساطعا لها.

هكذا يؤرق رمز لومومبا اللاوعي الجماعي الأفريقي، ولا يزال خطاب لومومبا بحضور الملك البلجيكي بودوان في ليوبولدفيل بتاريخ ١٩٦٠\٦\٣٠ منحوت في الذاكرة:

"لأن استقلال الكونغو هذا، حتى لو تعلن اليوم بموافقة مع بلجيكا، دولة صديقة نتعامل معها على قدم المساواة. لا يمكن أبدا أن ينسى أي كونغولي مؤهل بالاسم هذا أن استحقينا استقلالنا من خلال النضال، وكان نضالا يوميا، نضالا محتدم، نضالا مثاليا، نضالا خلاله ما دخرنا قواتنا ولا حرماننا ولا معاناتنا ولا دمائنا. كان نضالا من دموع، نار ودماء، ونحن فخورون بذلك من أعماق أنفسنا، لأنه كان نضالا نبيلا وعادلا، نضالا لازما لإنهاء الإستعباد المذل الذي فرض علينا بالقوة.
واليوم معا، ايها الإخوان والأخوات، سنبدأ نضالا جديدا، نضالا ساميا سيؤدي بلدنا إلى السلام، إلى الازدهار وإلى العظمة. سوف ننشئ معا تحقيق عدالة اجتماعية، ونضمن معا أن كل فرد حاصل على مكافأة عادلة لعمله. وسوف نظهر للعالم كله ما يمكن أن يفعله الإنسان الأسود حيث يعمل في الحرية ، وسوف نجعل الكونغو قلبا مشرقا لافريقيا كلها."[1]

عبر فيلم بيك وصور تيليم وبطريقتهما الخاصة، تحيي ذاكرته. إحساس اهليجية الوقت في عملهما يشير إلى التفسخ السياسي والاجتماعي اللاحق - وعلى الأخص في ظل ديكتاتورية موبوتو - ما بين هذه اللحظة من الأمل في عام ١٩٦٠ وواقع الحاضر.

بيك، الراوي في فيلمه، صخبا جدا بيأسه وتعلقه بلومومبا. تيليم، من ناحية أخرى، يفضل أن يتلاشى: انه لا يظهر في صوره، ولا ينشر أي رأي سياسي بشكل مباشر، بل يستحضر التاريخ هذا مع كثر التفصيل. يرصد تدهور المباني وكأنها أشباح من الحقبة الاستعمارية. يلقي الضوء الرائع والألوان المهزومة شعور الرقة وجو منامي يمنح لهذه الأماكن بعدا شعريا خارج الوقت.

[1] مقتطف من خطاب لومومبا في ١٩٦٠\٦\٣٠. ردا على خطابات الملك بودوان وجوزيف كاسا فوبو، خاطب لومومبا الشعب الكونغولي وانتقد بعنف السياسة الاستعمارية البلجيكية. بعد هذا الخطاب قرر غاضبا الملك بودوان أن يعود فورا الى بروكسل.

لا تهدف هذه الصور الى تغيير امور أو إهتزاز توعية أو تسبب تفاعل على هذا الواقع المأساوي. لهذه الأسباب انها تختلف عن التصوير الصحفي وعن سلسلات صور تيليم الأخرى . فإن هذه الصور لن تسعى أن تعلن أي حقائق، انها فقط تحمل الشاهد إلى واقعا وتقدم، على الرغم من محاولة انسحاب واضحة من قبل الفنان، رؤية تتبنى ذاتيته.

وهكذا، عندما سئل عن علاقة عمله بالتصوير الصحفي، رد غي تيليم: "التصوير الآن أرخص ومتاح بسهولة. مفهوم المصور الصحفي كوسيط الحقيقة فقد مصداقيته. الفكرة أن المصور يمكن إيقاف حروب، تلك الأفكار التي كانت منتشرة في الثمانينات والتسعينات ، انقرضت الى حد ما."[2]

هنا تنحدر الحقيقة من جمال نظرة، وإذا أمعنا التفكير بذلك، كما هو الحال في أي عمل يتمكن الاحتفاظ بسره، ما زلت أشعر حيرة لشرح في وجه التحديد سبب التأثير القوي لهذه الصور علي.

وجهات نظر الفنان

وجهات نظر الفنان برنامج يعطي فرصة لفنانين عالميين لتأمل أعمال فردية ضمن مجموعة تيت أو أي موضوع متعلق بذلك. يتم نشر النصوص في اللغة الإنجليزية ولغة أخرى من اختيارهم لعرض رؤى إبداعية حول مجموعة تيت وممارسة الفن المعاصر لقراء في جميع أنحاء العالم.

نازگل انصارى نيا
قادر عطية
لمياء جريج

[2] مقتطف مقابلة أجرتها كورين هيرش نشرت في ٢٠٠٨\٧\٢٨ في a.magazine